﴿صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ [البقرة: 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمَّا ذَكَرَ اللّٰهُ تعالى مَثَلَ المُنَافقين، وذكَرَ بقاءَهم في الظُّلماتِ؛ بيَّنَ المراد بظُلُمَاتِهم بأنَّها ما في آذَانِهم مِنَ الثِّقَل المانع لَهُم مِنَ الانْتِفاع بالسَّمع، وما في أَلْسِنَتِهم مِنَ الخَرسِ عن قولِ الخير، وما على أبصارهم مِنَ الْغِشاوة المانعة لَهُم مِنَ النَّظرِ إلى الخير نظرَ الاعْتِبَار، وعلى بصائرهم مِنَ الْأَغْطِيَةِ المانعة مِنَ الادِّكَار[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿صُمٌّ﴾: الصَّاد والميمان تدور اشتقاقاتُها عَلَى انسداد فتحات الشَّيء، والحيلولة دون النَّفاذ فيها[2].

ومِنْهُ: الصَّمَمُ في الأُذن؛ وهو ذهاب سَمْعِها، أَوِ انسدادُها وثِقَلُ السَّمع، ويقال لِلْمُتَّصِف به: أصمُّ، والأنثى: صمَّاءُ، والجمعُ: صُمٌّ[3].

وقد يُطلق الأصمُّ على مَن لا يهتدي إلى الحقِّ؛ مِن باب التَّجوُّز، فيكون مِن صَمَمِ العَقْلِ لا الأذن[4].

2) ﴿بُكۡمٌ﴾: أصل الباء والكاف والميم دالٌّ على الخَرَسِ[5]، ويقال لِلرَّجل: بكِمَ عَنِ الكلام؛ إذا امتنَعَ عَنِ الكلام جَهْلًا أو تَعَمُّدا[6].

ويقال لِلرَّجل الأخرس: أَبْكَمُ، ولِلْمَرْأَةِ: بَكْمَاء[7]، والجمعُ: بُكْمٌ، وخصَّ ابنُ الأثير الأبكَمَ بمَنْ وُلِدَ أخرسَ لَا يتكلَّم[8].

---

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/120.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (صمم).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (صمّ)، والزّبيديّ، تاج العروس: (صمم).
(4) جمال الدِّين الفتَّنِي، مجمع بحار الأنوار: (صمم).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بكم).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (بكم).
(7) ابن دُريد، جمهرة اللّغة: (بكم).
(8) ابن الأثير، النِّهاية في غريب الحديث: (بكم)، والسَّمِين، عمدة الحفّاظ: (بكم).

والمشهورُ: أنَّ الأبكمَ هُوَ الذي لا يَنْطِقُ ولا يَفْهَمُ، فإذا فَهِمَ معَ عدَمِ نُطقِهِ؛ فهو الأَخْرَسُ[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

المنافقون صُمٌّ عن سماع الخيرِ سماعَ تدبُّرٍ وقبولٍ، بكمٌ عَنِ النُّطْقِ به، عُمْيٌ عَنْ إبصاره؛ فلمَّا تعطَّلت عندهم منافذُ الخَيْرِ والهدى؛ امتنَعَ رجوعُهم إلى الحقِّ عقوبةً مِنَ اللهِ تعالى لَهُم؛ لِكَوْنِهم أَعْرَضُوا عَنِ الحقِّ بعد ما عرفوهُ[2].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

تَرْكُ الْعَطْفِ؛ لِوُقُوعِ الْجُمْلَةِ اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا:

تَـهْـوِيـلُ حَـالِ الْـمُـمَـثَّـلِ لَـهُ وَتَفْظِيعُهِ

فُصل قولُ اللهِ تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ عمَّا قبلَهُ؛ لعدم تأَتِّي العطفِ ههنا؛ فإنَّهُ لَا يصحُّ عطفُ المُمَثَّلِ لَهُ على حال المُمَثَّل بِهِ[3].

ويَحْتَمِلُ أن يكونَ هذا استئنافًا[4] واقعًا في جوابِ سؤالٍ مقدَّر؛ وذلك أنَّه لَمَّا نُفِيَ عَنْهُمُ الإبصارُ في قول اللهِ تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾؛ ورد سؤالٌ: فهل يَنْطِقُون بالحقِّ، أو ينتفعون بسماعِهِ، وهل عدم إبصارِهِمْ لخللٍ في ذاتِ البصَرِ أو لعارضِ الظُّلْمَةِ؟ فقال اللهُ تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾.

ولذا؛ فإنَّ هذه الآيةَ نتيجةٌ لِلتَّمْثِيلِ السَّابِقِ عليهَا؛ تُفيدُ زيادةَ التَّهْوِيلِ والتَّفْظِيعِ[5].

بلاغةُ حَذْفِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ:

﴿صُمٌّ﴾ في قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ خَبرٌ، مبتدَؤُهُ محذوفٌ، تقديره: هُمْ صُمٌّ.

وحَذْفُ المسنَدِ إِلَيْهِ (هُمْ) ههنا؛ اتُّبِعَ فيه الاستعمالُ الواردُ على تَرْكِهِ، وذلك أَنَّ حذفَه

(1) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 1/100، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 1/214، والشَّوكانيّ، فتح القدير: 1/55.
(2) القاسميّ، محاسن التَّأويل: 1/258، والسّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 44، وجماعة من علماء التَّفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 4، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 2.
(3) الخفاجيّ، عناية القاضي: 1/407-408.
(4) الطِّيبيّ، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرّيب: 2/245.
(5) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/52.

بُـلُـوغُ الـصَّـمَـمِ وَالْبَكَمِ وَالْعَمَى لَـدَى الْمُنَـافِقِينَ الْغَايَةَ

هَهنا شائعٌ في كلام العرب؛ "إذَا ذكَرُوا موصوفا بأوصافٍ أو أخبارٍ؛ جعَلُوه كأنَّه عُرِفَ لِلسَّامِعِ"[1].

فالصَّمَم والبكَمُ والعَمَى بلغَ الغايةَ عندَ المنافقين، حتَّى إنَّ هذه الأخبارَ إذا ذُكِرَتْ لَمْ تنصرِفْ إلَّا لهم؛ لِكَمالِها فِيهِمْ.

سِرُّ تَرْتِيبِ الْأَوْصَافِ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ:

عَـــدَمُ انْـتِـفَـاعِ أَهْـــلِ الـنِّـفَـاقِ بِحَوَاسِّهِمْ

تَرْتِيبُ هذه الأوصافِ[2] على النَّحْوِ المذكور في الآية: الصَّمَمُ، ثُمَّ البكَم، ثُمَّ العمَى؛ رُوعي فيهِ الوجودُ في الواقِعِ مِن جهةِ ردِّ المنافقين لِلْوَحْيِ المُنزَّلِ؛ فكان ذلك أنسبَ لِلسِّياق، وَوَجْهُ ذلكَ: أنَّ العبدَ يسمعُ قولَ النَّبِيِّ ﷺ: إنِّي رسولُ اللّه، فينطقُ ويقول: ما دليلُ صدقِكَ؟ فيُريهِ آيةً مِنَ الآياتِ[3]، فنفَى اللّهُ تعالى عَنْهُمُ انتفاعَهم بهذه الحواسِّ، وأثبتَ لهم أَضْدَادَها.

وَجْهُ تَشْبِيهِ الْمُنَافِقِينَ بِالصُّمِّ الْبُكْمِ الْعُمْيِ:

انْـعِـدَامُ آثَـارِ الْإِحْسَاسِ عِنْدَ الْمُنَافِقِينَ

الصُّورة البيانيَّةُ في قولِه ﷻ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ هيَ مِن باب التَّشْبِيهِ البليغِ، لا الاستعارةِ؛ لأنَّ المستعارَ له -وهم المنافقُونَ- مذكورٌ، وَحَذْفُ ضميرِهِ لا يُخْرِجُهُ عَن هذا؛ لأنَّه مُقدَّر، والمقدَّر في قوَّة المذكور[4].

فشُبِّه المنافقونَ في انعدام آثار الإِحْسَاسِ مِنْهُمْ بالصُّمِّ البُكْمِ العُمْيِ، وهذا ليس على سَبِيلِ التَّوْزِيعِ؛ بمعنى أَنَّ بعضَهم كالأصمِّ، وبعضَهم كالأبكَم، وبعضَهم كالأعمى، وإنَّما كلُّ واحدٍ مِنْهُمُ اجْتَمَعَت فِيهِ الصِّفاتُ كلُّهَا[5].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/313.
(2) المراد بالأوصاف ههنا بالنَّظر إلى المعنَى لا باعتبار الاصطلاح النَّحوي؛ وذلك لأنَّ الأخبارَ أوصافٌ من جهة المعنى.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/61.
(4) النَّسَفِيّ، مدارك التَّنزيل: 1/56.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/313-314.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ:

الجملةُ في قولِه سُبحانه: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ جملةٌ اسميةٌ مفيدةٌ استمرارَ تلك الحالِ فِيهِمْ[1].

اسْتِمْرَارُ أَهْلِ النِّفَاقِ فِي بَاطِلِهِمْ، وإصرارُهم على غيّهم

وقُوِّيَ هذا المعنى بتَكْرَارِ الإسنادِ مرَّتين؛ فَقَدْ أُسنِدَ الرُّجُوع إلى ضَمير المنافقين (هُمْ) مِن إسناد الخَبَر إلى المبتدأ، وأُسنِدَ الرُّجوعُ إلى واوِ الجماعةِ الرَّاجعة إِلَيْهِمْ؛ مِن إسناد الفعل إلى فاعله، فَلَمَّا تكرَّر الإسنادُ تأكَّد المعنى وقَوِيَ.

تَوْجِيهُ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ:

التَّنَاسُبُ السِّياقيُّ أصلٌ في توجيه عِلَلِ الاختيار

خُتِمَت هذه الآيةُ بقوله: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾، وجاء في آية أخرى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 171]؛ وذلك لمناسبة كلِّ مقْطَعِ آيةٍ لمَطْلَعِها.

ووجهُ ذَلِكَ: أنَّ الآية الأُولَى فيها تَمْثِيلُ حالِ المنافقين بِمُسْتَوْقِدِ النَّار قصدًا لِلإِضَاءة، فلَمَّا حصل المقصودُ؛ أَذْهَبَ اللهُ تعالى النُّور، "فلَمْ يَكُنْ لَهُ ما يَسْتَضِيءُ به ويَرْجِعُ إِلَيْهِ، فنفى عَنْهُمْ وجُودَ ما يرجعون إِلَيْهِ من ضِيَاءٍ يَدْفَعُ حَيْرَتَهُم"[2].

أمَّا الآية الثَّانية؛ فإنَّه مَثَّلَ حالَ الكافرين بحالِ الغَنَمِ التي يُنادَى بِهَا فلا تَسْمَعُ إلَّا صوتًا لا تَعْقِلُ معناهُ، فناسب ختْمُها بـ ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾[3].

فَسَلْبُ الرُّجوعِ عَنِ المُنَافقين؛ لكونهم آمنُوا ثُمَّ كفَرُوا، فلم يرجعوا إلى الإيمَان، وسَلْبُ العَقْلِ عَنِ الكُفَّار؛ لكونهم ليسوا مِن أَهْلِ البَصيرة والإيمَانِ أصلًا[4].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/52.
(2) ابن الزُّبير الغرناطيّ، مِلاك التَّأويل: 1/25.
(3) ابن الزُّبير الغرناطيّ، مِلاك التَّأويل: 1/25-26.
(4) ابن القَيِّم، اجتماع الجيوش الإسلامِيَّةِ: 2/67-68.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»